اصول الدين وهو الارجح وانما احتاج هذا الفن للتبيين
والتوضيح لان كلام الاوايل كان مقصورا على الذات
والصفات والنبوات والسمعيات ثم حدثت طوايف
المبتدعة فكثر جدالهم مع علما الاسلام وتوغلوا
في البحث عن مسايل الكلام واوردوا شبها على ما قرره
الاوايل والزموهم الفساد في كثير من المسايل وخلطوا
تلك الشبهة والالزامات بكثير من قواعد الفلسفيات
ليستروا اضلالهم عن الناس ويوهموا القاصرين
انهم بنوا ما هوا وهن من بيت العنكبوت على
احكام واساس فتصدى المتاخرون لدفع تلك الشبه
والالزامات وهدم تلك القواعد والاساسات
فاضطروا الى ادراجها في كلامهم ليتحققوا مقاصدها
ويتمكنوا من ايضاح مفاسدها ويسهل عليهم
تمييز صحيحها من فاسدها فصعب لهذا تناوله
وتقاطيه وعسر كثير مقاصده على طالبيه
وخصوصا في مقام الايجاز حتى صارت لديهم بمنزلة
الالغاز تنبيهان الاول ظهر بهذا عذر المتاخرين
في ادراجهم في هذا الفن الفلسفيات والطبيعيات
والرياضيات وانهم انما ارتكبوه للحاجة والضرورة فلا
لوم عليهم ولا يصح توجيه الذم اليهم وتحذير بعض
المتاخرين من تقاطي كتبهم كالمواقف والمقاصد
والطوالع انما هو للقاصرين ومن ليس فيه اهلية
الرسوخ والتمكين ليلا يضل في فهمها ولا يصل

لقصوره

لقصوره باعه في تلك العلوم الى مبلغ علمها فهو نظير منع السلف
عن الاشتغال بعلم الكلام كما قدمناه تاويله والسلام الثاني
اول من اسس قواعد الخلاف لاهل السنة المعتزلة وذلك
ان ريسهم واصل بن عطا كان في مجلس الحسن البصري
فوقف على مجلس الحسن رجل فقال يا امام الدين
ظهر في هذا الزمان جماعة يكفرون صاحب الكبيرة
يعني بهم الخوارج وجماعة يقولون لا يضر مع الايمان
معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة يعني بهم المرجية
فما تعتقده من ذلك فاطرق الحسن مفكرا في الصواب
وبادره واصل بن عطا بالجواب فقال انا لا اقول ان
صاحب الكبيرة مومن مطلقا ولا كافر مطلقا وقام الى
اسطوانة في المسجد يقرر مذهبه ويثبت المنزلة
بين المنزلتين ويقول الناس ثلاثة مومن وكافر
ولا مومن ولا كافر وهو صاحب الكبيرة اذا مات بلا
توبة قال الحسن اعتزل عنا واصل فسموا لذلك
المعتزلة وهم سموا انفسهم اصحاب العدل والتوحيد لانهم
قالوا يجب على الله ثواب المطيع وعقاب العاصي ولنفيهم
الصفات القديمة عنه تعالى عن قولهم علوا كبيرا
وجا بعده واصل ابو علي الجبائي وكان ابو الحسن الاشعري
في صغره تلميذ اله فتمذهب في العقايد بمذهبه
الى ان ظهر له فساده واتضح له غلطه وثبت عنده
عناده فرجع الى ما عليه جماعة الصحابة والتابعين
وتلقاه منهم بالقبول ايمة الدين وسبب رجوعه